المحاضرة الخامسة

التفسير الموضوعي نشأته وتطورهُ

تمهيد

(إنَّ التفسير الموضوعي مصطلح معاصر وحَقْلُ بحث معاصر، قام به العلماء والباحثون المعاصرون في تدبرهم للقرآن . وهذا يعني أنَّ العلماء والمفسرين السابقين لم يبحثوا في التفسير الموضوعي بالطريقة المعروف لنا في هذا العصر)[1] .

قال الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم :

(لم يظهر هذا المصطلح [**التفسير الموضوعي**] إلاّ في القرن الرابع عشر الهجري ، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أُصول الدين بالجامع الأزهر . إلا أنَّ لبنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

---

[1]) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :٣٧ .

[2]) مباحث في التفسير الموضوعي – الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم:١٧، وينظر : مقدمة في التفسير الموضوعي– دون مؤلف : ٢ ، ومنهجية البحث في الموضوع القرآني – الدكتور حامد يعقوب الفريح : ١ ، والتفسير الموضوعي– الأستاذ بشير عثمان: ١٨ .

البدايات الزمنية للتفسير الموضوعي عند السابقين :

قال الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :

(إنَّ عدم بحث السابقين للتفسير الموضوعي بالطريقة المعاصرة ، لا يعني أن لا يكون للتفسير الموضوعي بدايات عندهم . فهناك بعض النظرات لبعض علماء التفسير في آيات القرآن ، تصلح أن تكون نواة للتفسير الموضوعي ، وأنْ تكون لبناتٍ أولية ، وبداياتٍ تمهيدية ، توصِل إلى هذا العلم عند علماء العصر الحاضر .

ويمكن أن نرصد البدايات التالية التي تصلح أن تكون لبناتٍ تمهيدية لهذا العلم المعاصر) . [٣] في هذه المطالب التالية :

المطلب الأول

تفسير النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لبعض الآيات

(يمكن القول بأن نواة التفسير الموضوعي ودعائمه نجدها في القرآن نفسه ، وذلك من خلال تفسير القرآن بالقرآن ، لأن معتمده الأساسي هو القرآن نفسه ، وذلك بحمل الآيات بعضها على بعض ، والموازنة بينها ، للوقوف على المعاني المرادة بالنص .

وقد وجد تفسير القرآن بالقرآن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل تفسيره صلى الله عليه وسلم للظلم في قوله تعالى: ﴿ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾﴾ [٤] بالشرك مشيراً إلى وجود هذا المعنى في قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ

---

[٣] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق- للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٧ .

[٤] سورة الأنعام – من الآية :٨٢ .

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥]. وفهم الأصحاب ذلك فنهجوا على منهجه ، وعملوا بـــالتوفيق بين ظواهر الآيات ، وحمل بعضها على بعض ، وتفسير بعضها ببعض ، مثل ما ورد عن كثير منهم رضي الله عنهم أجمعين)[٦] .

قال الدكتور ناصر بن محمد المنيع :

(يذهب البعض إلى القول بأنَّ المهتم بالتفسير الموضوعي لا يخرج في عمله بصورة أو أُخرى عن دائرة تفسير القرآن بالقرآن . وأنَّ التفسير الموضـــوعي لا يعدو أن يكون وليداً أصيلاً لتفسير القرآن بالقرآن نشأ في أحضانه ، وبدا لوناً من ألوانه ، ثم أصبح ذا سمات متميزة مستقلة)[٧] .

---

[٥]) سورة لقمان – من الآية :١٣ .

[٦]) مناهج المفسرين – الأستاذ الدكتور خليل رجب الكبيسي: ١١٨ ، وينظر : علم التفسير أُصوله وقواعده – الأستاذ الدكتور خليل رجب الكبيسي : ١٩ و ٧٧ ، ومباحث في التفسير الموضوعي – الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم: ١٧ ، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٧ – ٣٨ ، والتفسير والمفسرون– الدكتورة فاطمة محمد ماردیني:١٤٦ ، والتفسير الموضوعي في المرحلة الجامعية دراسة ونقد – الأستاذ الدكتور سليمان بن صالح القرعاوي: ٧ ، والتفسير الموضوعي – الأستاذ بشير عثمان :١٩ ، ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية – الدكتور سامر عبد الرَّحمن رشواني : ٧٤ – ٧٥ .

[٧]) التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية دراسة ونقد– الدكتور ناصر بن محمد المنيع : ٦ ، وينظر: تفسير القرآن بالقرآن– عبد الهادي عبد المقصود: ٢٠٣ ، ومنهج التفسير الموضوعي دراسة نقدية – الدكتور سامر عبد الرَّحمن رشواني: ٥٥ .

المطلب الثاني

الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يجمع بين آيات متعارضة من حيث الظاهر

قال الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :

(روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ : فقد قال الله : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [٨].

وقال الله :﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[٩] ، وقال الله : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ﴿ ﴾ [١٠] .

وقال الله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [١١] فقد كتموا في هذه الآية .

وقال الله :﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾[١٢] .

فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض .

---

[٨]) سورة المؤمنون – من الآية : ١٠١ .

[٩]) سورة الصافات– الآية : ٢٧ .

[١٠]) سورة النساء – من الآية : ٤٢ .

[١١]) سورة الأنعام – الآية : ٢٣ .

[١٢]) سورة النازعات – الآيات: ٢٧ –٣٠ .

وقال الله :﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[١٣] ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء .

وقال الله :﴿ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴾[١٤] وقال الله :﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١٥] ، وقال الله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴾[١٦] فكأنه كان ثم مضى .

فقال ابن عباس قوله : ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[١٧] في النفخة الأولى .

وقوله :﴿ ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[١٨] في النفخة الثانية .

وانَّ الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، عند ذلك يقول المشركون تعالوا نقول : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ﴾[١٩] فيختم الله على أفواههم . فتنطق أيديهم، عند ذلك يعرفون أنَّ الله لا يكتم حديثاً ، وهذا قوله : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾[٢٠] .

وخلق الله الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسَّواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ، ودحْوها بأن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال ، والآكام وما بينهما في يومين آخرين .

---

[١٣]) سورة فصلت – الآيات : ٩ – ١١ .

[١٤]) سورة النساء – من الآية: ٩٦ .

[١٥]) سورة النساء – من الآية : ١٥٨.

[١٦]) سورة النساء – من الآية : ١٣٤ .

[١٧]) سورة المؤمنون – من الآية :١٠١ .

[١٨]) سورة الصافات – الآية : ٢٧ .

[١٩]) سورة الأنعام – من الآية: ٢٣ .

[٢٠]) سورة النساء – من الآية: ٤٢ .

فذلك قوله : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [٢١] وقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [٢٢] ، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخُلقت السماوات في يومين .

وقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٢٣] إنَّ الله سمى نفسه بذلك ، وذلك قوله ، وهو لم يزل كذلك ، فإنَّ الله لم يُرد شيئاً إلا أصابَ به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن فإنَّ كُلاًّ من عند الله...)[٢٤] .

قال الأستاذ بشير عثمان : (وخلاصة القول إنَّ جمع الآيات وردّ بعضها إلى بعض ، كان منهجاً معمولاً به لدى الصحابة رضوان الله عليهم ، سواءً لفكِّ إشكالات التعارض بين الآيات ، أو للوصول إلى أحكام فقهية متناسقة مع روح الشريعة الإسلامية)[٢٥] .

---

[٢١]) سورة النازعات – الآية: ٣٠ .

[٢٢]) سورة فصلت – من الآية : ٩ .

[٢٣])سورة النساء– من الآية: ٩٦ .

[٢٤]) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٨ – ٣٩ ، ومباحث في التفسير الموضوعي– الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم: ١٨ ، والتفسير الموضوعي في المرحلة الجامعية– الأستاذ الدكتور سليمان بن صالح القرعاوي: ٨ ، وينظر : التفسير الموضوعي – الأستاذ بشير عثمان :٢١ –٢٢ ، ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية – الدكتور سامر عبد الرَّحمن رشواني: ٧٥– ٧٦ .
والحديث أخرجه : البخاري في " **صحيحه** " ١٢٧/٦ تعليقاً عقب (٤٨١٥) كتاب التفسير .

[٢٥])التفسير الموضوعي– الأستاذ بشير عثمان : ٢٣.